وإذا بتلك الراحة أيضا تنعكس فيما نفاه أبو تمام عن المعتصم إلا ما رهنه منها بالتعب والجهاد :

بصُرْتَ بالرَّاحَةِ الكُبْرَى فلم تَرَها تُنَالُ إلا عَلَى جِسْرٍ من التَّعَبِ

لتمتد سيطرة الصورة على ذهن الشاعر إلى حد تعامله مع البرج المنقلب أيضا ، ولكن فى غير موضع التنجيم الذى اتخذه أبو تمام مجالا لسخريته وحقلا لتهكمه حين قصد به أبراج المنجمين تحديدا :

وصَيَّرُوا الأبرجَ العُلْيَا مُرَتَّبَةً ما كان مُنْقَلِباً أو غَيْرَ مُنْقَلِبِ

على أن أبرج المدينة بدت وكأنما تخلت عن صورتها الطبيعية تماما :

تسنَّمُوها فلم يترك تسنُّمها فى ذلك الأُفْقِ بُرْجًا غيرَ مُنْقَلِبِ

والرابعة : لوحة الفتح وماحوله من انفعالات الأمة والقائد والشاعر جميعا ، وأول ما يظهر ذلك الانفعال فى مخاطبة اليوم نفسه (يايوم وقعة عمورية ، يايوم عكا ..) وفى كلتا الحالتين يظل شديد التميز بين بقية أيام الانتصارات الإسلامية الكبرى على حد تصوير كلا الشاعرين فكان عند أبي تمام :

فتحُ الفتوح تعالىَ أن يُحيط به نظمٌ من الشعر أو نثرٌ من الخُطَبِ

وهو هنا أيضا يمحو ذكر ما سبق من تلك الفتوح :

يا يوم عكاً لقد أنْسَيْتَ ما سبقت به الفتوحُ وما قَدْ خُطَّ فى الكُتُبُ

فهناك أعجز أبو تمام الشعر والنثر عن الإحاطة بمكانة ذلك اليوم ، وهو ما تردد لدى شهاب الدين أيضا :

لم يبلُغ النطقُ حدَّ الشكر فيك فما عسى يقوم به ذو الشعر والخطب

وعند أبى تمام كان احتفاؤه ظاهراً بأدوات القتال ، حيث اعتبرها أساساً لفلسفة القوة التى تبناها فى مطلع القصيدة حتى جعلها خلاصة حكمته :

إن الحمامَيْن من بيضٍ ومن سُمُرٍ دلواً الحيَاتَيْن من ماء ومن عشب

وهى هنا تسير - أيضا - فى نفس المساق :

وأطلع الله جيش النصر فابتدرت طلائع النصر بين السُّمر والقضب